

بِسْمِ تَعَالَى شَانِهِ

خطبة صلاة الجمعة في مسجد الإمام عليّ (ع) في هامبورغ

مقامة من قِبَل إمام المسجد و مدير المركز حجة الإسلام و المسلمين الدكتور رضا الرمضاني
(ليوم ٢٥ / جمادي الثاني / ١٤٣٠ المصادف ١٩ / ٦ / ٢٠٠٩)

سلسلة بحوث معرفة القرآن الكريم (٨)

أساليب الأُنس بالقرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين، باري الخلائق أجمعين ، نحمده و به نستعين ، ونشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، و نشهد أن محمداً عبده و رسوله ، عليه و على آله أفضل الصلاة و السلام و على صحبه المنتجبين.

عباد الله أوصيكم و نفسي بتقوى الله فإنَّ خير الزاد التقوى.

إنَّ للقرآن الكريم إعتباره منذ يوم نزل و لِحَدِّ الآن و عبر العصور و الزمان و إلى يوم يُبعثون. و إنَّ محتوياته أوسع من أن يُدركها أيُّ إنسان بكلِّ ما فيه، و فيه التوافق لكلِّ أنظمة الكون و لفطرة الإنسان و كيف لا يكون ذلك و هو كلام الخلاق الذي خلقهنَّ و هو بكلِّ شئٍ عليم و القرآن الكريم على مستوى من العلوِّ، بحيث لا يجراً أيُّ إنسان و في أيِّ زمانٍ و في أيِّ مكان أن يقاومه أو أن يخدشه.

و من أهمِّ المواضيع التي يجب الإلتفات إليها، فيما يخصُّ القرآن الكريم، هو كونه جامعاً لكلِّ الأمور كما و أنَّ العلماء و المفسِّرين كانوا منشغلين و منشغلين بذلك في العصور التي خلت و العصور التي تلت و الجدير بالذكر هنا هو أنَّنا أن نرى ذلك في عصرنا هذا أكثر فأكثر.

و من الطبيعي أنَّ الكتاب الذي جاء به خاتم الأنبياء و المرسلين المصطفى الأمجد أبوا القاسم محمَّد (ص) هو ختام الدين و إكماله فهو إذا جامعٌ كاملٌ ، لا شكَّ فيه و أنَّ جذور هذه الأسُس نراها في القرآن الكريم و كذلك في تعاليم المعصومين (ع) و من أوضح الآيات التي فيها بيان جامعية القرآن الكريم ، في سبيل المثال هي الآية ٨٩ من سورة النحل ا في قوله تبارك و تعالی: « وَيَوْمَ نُبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ » و كذلك الأمر في الآية 29 من سورة يوسف (ع) حيث يقول سبحانه و تعالی : « لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ».

و ما يُلفت الأنظار في هذه الآية هو تعبير « تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ » في الآية الأولى و « وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ » في الآية الثانية و ما يراه الإنسان هنا، هو أنَّ في القرآن الكريم تبيينٌ و تفصيلٌ لكلِّ شئٍ. كما بيَّن ذلك الكبار من الصحابة و منهم ابن مسعود الذي قال عن القرآن الكريم أنَّ « فيه علم الأولين و الآخرين ».^(١)

و ما لا شكَّ فيه هو أنَّ هنالك آياتٌ أخرى فيها البيان الصريح بأنَّ القرآن الكريم كتابٌ جامعٌ فيه ما يخصُّ العالم بأجمعه و فيه أيضاً آياتٌ تُبين أنَّه كتاب الخلد فنستنتج من كلِّ هذا أنَّه كتابٌ جامعٌ خالدٌ و إختصاصه بالعالم كلِّه و هذا هو من الدلائل على جامعِيته.

و هنالك رواياتٌ كثيرة عن جامعِيّة القرآن الكريم تُنقل عن الأئمّة الكرام المعصومين (ع) ومنها رواية عن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب (ع) قال فيها : « ذلك القرآن، فاستنطقوه. ولن ينطق لكم ، أُخبركم عنه أنَّ فيه علمٌ ما مضى و علمٌ ما يأتى الى يوم القيامة» (٢)

و في رواية أخرى عن الإمام الصادق (ع) أنَّه قال : « إنَّ الله تبارك و تعالى أنزلَ في القرآن تبييناً كلِّ شيءٍ حتّى و الله ما تركَ الله شيئاً يحتاجُ إليه العبادُ حتّى لا يسْتَطيعَ عبدٌ يقولُ لو كانَ هذا أنزلَ في القرآن إلا و قد أنزله اللهُ فيه » (٣)

كما و جاء في رواية عن الإمام الباقر (ع) أنَّه قال : " إنَّ الله لم يدع شيئاً تحتاجُ إليه الأئمّة إلى يوم القيامة إلا أنزله في كتابه ، وبيّنه لرسوله ، و جعل لكلِّ شيءٍ حداً ، و جعل عليه دليلاً يدلُّ عليه " (٤)

و هنالك الكثير من العلماء و الحكماء الذين يرون أنَّ القرآن الكريم كتابٌ جامعٌ حاويٌ لكلِّ العلوم و من فطاحل العلماء الذين توصّلوا إلى معرفة هذه الحقيقة عبر الدهر و الزمان منذ بداية ظهور الإسلام و كان منهم مثلاً ابن مسعود (٥) الذي توفى في عام ٣٤ الهجريّ و أبو حامد محمد الغزالي (٦) الذي توفى في عام ٥٠٥ الهجريّ و بدرالدين الزركشى (٧) الذي توفى في عام ٧٩٤ الهجريّ و الفخر الرازي (٨) الذي توفى في عام ٦٠٦ الهجريّ و جلال الدين السيوطي (٩) الذي توفى في عام ٩١١ الهجريّ و كذلك صدر الدين الشيرازي (١٠) و الكثير من العلماء الكبار المعاصرين مُقتنعين بأنَّ القرآن الكريم يحتوي على كلِّ العلوم.

إنَّ في القرآن الكريم هدىً للمتقين الذين يريدون المسير في سبيل التقرب إلى الله تبارك و تعالى و فيه تبيانٌ للناس لكي يجدوا السبيل و المسير في طريق الوصول إلى الكمال في الحياة الدنيا و الفوز بالجنة في الآخرة. كما و أنَّ في القرآن الكريم أصول و أسس العلوم الأخرى و التي هي التجربة و التعقّل و عليها تأكيدٌ شديد. و وجهة النظر الأخرى المهمة التي نراها هنا، هي أنَّ القرآن الكريم هو كتاب الهدى و لذلك فإنَّ فيه كلَّ ما ينفع الإنسان للتوصّل إلى الهدى و لا يمكن أن يكون أمرٌ في هذا الخصوص، ما لا نجده في القرآن الكريم.

و لا شكَّ في أنَّ القرآن الكريم، هو كتابٌ كاملٌ فيه هدىً للناس و بيّناتٍ من الهدى و الفرقان و فيه الآيات الكثيرة التي يذكر الله تبارك و تعالى فيها هذه الحقيقة و أنَّ تلك الآيات تُبين لنا سبيل الحق بأكمل التعاليم و أجمل التعابير و يمكننا أن نرى هذه التعاليم في مختلف مجالات الحياة.

و أمّا ما يخصُّ بحث الهداية فيمكن جعله في أقسام عديدة و منها أصول العقائد الإسلاميّة مثل: التوحيد النبوة المعاد و المعارف الأخرى المنشقة منها مثل اللوح، القلم، القضاء و القدر، الملائكة، العرش، الكرسي، خلق السماوات و الأرضين و هكذا.

و القسم الثاني هو ما يخصّ الإخلاق الحسنة التي تتوافق مع أصول الدين.

و القسم الثالث هو ما يخصّ القوانين التي فيها تنظيم الحياة الإجتماعية و الأحكام الشرعية و غيرها، و كلّ هذه الأمور، هي التي تمهّد الرشد و الارتقاء في الحياة و إنتشار المثل العليا و العقائد الإسلامية في المجتمع و تضمن له الرغد و السعادة كما و أنّ فيها ضمان الحقوق للفرد و المجتمع.

و يجب علينا أن لا ننسى أن هذه النظرة لا تتنافى مع ما يتواجد في القرآن الكريم من إشارات و حتّى بيانات صريحة تدعو إلى مطالعة الطبيعة و التمتع في ظواهرها ، فلو أن أنكر أحدٌ كلّ ذلك، فإنّه ينكر وجود هذه الأمور في القرآن الكريم ، فإنّه ينكر أيضاً الحقيقة التواجديّة في القرآن الكريم.

و من الطبيعي هو أنّ وجود كلّ هذه الأمور في القرآن الكريم لم يكن إلا لغرض بيان الهدف الأساسي للإنسان، لكي يهتدي الناس به و أهمّ ما يدعى له الإنسان في القرآن الكريم هو الهداية و التوجّه إلى الباري عزّ و جلّ و ذلك لنيل السعادة في الدنيا و الآخرة و لذلك أنزل ، فعلى الإنسان أن يكون على وعي و أن يسعى ليري سواء السبيل و أن يقوم بالخطوة بعد الأخرى في هذا الإتجاه.

و إن قلنا أنّ القرآن الكريم كتابٌ جامعٌ لكلّ شيء، فمعنى ذلك هو أنّه كلّما إهتدى الإنسان به تحرّك نحو الكمال و مشى في سبيل الهدى نحو الله تبارك و تعالى و التقرب إليه جلّ و علا و يتبيّن له وسائل الارتقاء في الدرجات العلى للأخلاق و يرى كلّ ذلك في القرآن الكريم الذي لم يترك أيّ أمر.

نسأل الله تبارك و تعالى أن يمنّ علينا بالهدى و البصيرة و التوفيق لطاعته و هو وليّ كلّ نعمة و هو الغفور الرحيم.

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

- ١ بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن بيروت/ ٢٠٠١ - ج ١ ص ٢٨
- ٢ الكليني ، اصول الكافي ج ١ ص ٧٩ خ ٧ ، با اندكى تفاوت در خطبه ١٥٨ نهج البلاغه آمده است .
- ٣ اصول الكافي ج ١ ص ٧٧ ح ١
- ٤ العلامة المجلسي ، بحار الانوار ج ٨٩ ص ٨٤
- ٥ المعرفة ، التفسير و المفسرين ج ١ ص ٢٠١ " من اراد العلم فليزور القرآن فإنّ فيه علم الاولين و الآخرين "
- ٦ الغزالي ، جواهر القرآن ص ٢٨-١ ؛ احياء العلوم العيين ج ١ ص ٣٨٣ - ٣٨٤
- ٧ البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٥٣٧ « و بالجملة فالعلوم كلها داخلة في افعال الله و صفاته و في القرآن شرح ذاته و صفاته و افعاله »
- ٨ الفخر الرازي مفاتيح الغيب ج ١٧ ص ٩٦ و ج ٢ ص ١٣
- ٩ الاتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٦٤
- ١٠ صدر الدين الشيرازي - مفاتيح الغيب - ص ٦٠